كي لا تظهر أصابعي

من حذائي المفتوح

علي ذرب

كي لا تظهر أصابعي من حذائي المفتوح

نصوص



اسم الكتاب : كي لا تظهر أصابعي من حذائي المفتوح

المؤلف : علي ذرب

الناشر : منشورات ميليشيا الثقافة

الغلاف : علي ذرب

الطبعة الأولى : ٢٠١٨

رقم الايداع بدار الكتب والوثائق العراقية : ٤٠٩١ \ ٢٠١٧

ص . ب : ٥٨٠ العراق \ بابل

العنوان : العراق \ بابل \ شارع المكتبات

**

Address : Iraq-Babylon - Library Street

s . B 580 Iraq- Babylon

Tel: 9647711716728

Email : CulthureMilitia@gmail.com

**

طفلي الأوّل سيكونُ حيواناً !

ماذا لو تزوجتُ امرأة

وأنجبت لي حيواناً ؟

ما الذي سنفعله حينها ؟!

هل سننهي الأمر بسهولة ونقوم بدفنه مباشرة ؟

لا أظن أننا سنفعل ذلك

فأنا رجل طيب وأعتقد أنها ستكون امرأة طيبة

سنتركه إذن يعيش بيننا

ولكن هل سيوافق أهلي على بقائه في المنزل ؟

لا أظن إنّ هذه الغرفة التي مقاسها ٦,٣٠ × ٥,٣٠

ستكون كافية لحياة حيوان

أتى لهذا العالم كي يعيشَ وينهزم

يحب ويكره ، يقتل ويعبث

أتى ليفعل كل شيء

ولا شك أننا لن نستطيعَ تسجيله

في دائرة الأحوال المدنية

سيبقى هكذا بلا اسم

وبلا وطن

وسوف لن يصدقني الصيدلي عندما أخبره

إنّ طفلي حيوان

وأريد علبة حليب تناسب عمره

وسوف يقوم بطردنا جميع الأطباء

الذين سنذهب إليهم

عندما يمرض

وسنكون أكثر من يتعرض للسخرية في الشارع

ونحن نتناوب على حمله أثناء سيرنا

سيمتنع الأقارب والأصدقاء عن زيارتنا بسبب الخوف

وعندما يبلغ سن السادسة

لن أذهبَ به إلى أية مدرسة لأنهم سيرفضونه حتماً

سيكبر بلا أصدقاء

سيكبر وسط خوفنا منه

حينها كيف سنتعامل معه ؟

كيف لنا أنْ نضمن أنه لن يؤذيه الآخرون ؟

بأي طريقة نقول له إن وحدته أمر جيد ؟

هل ننتظر منه أن يحبّنا

أم نبقى خائِفَيْن على الدوام من مجيء لحظة

يأكلنا فيها أنا وأمه ....؟!!

كان فمي بارعاً بتقليدِ أصوات الرصاص

ظننتُ أنني قادر

على وضع حدٍ للمأساة

فحملتُ مسدساً بلاستيكياً

كنتُ قد سرقته من ابن الجيران

وللشروع في ذلك

كانت البداية من المطبخ

حينها وقفتُ أمام أمي

وأطلقت نحوها أصواتاً عديدةً

لتتكوّمَ وسط الصحون ودخانِ الطعام

الذي يحترق في المقلاة

أما أبي فقد كان نائماً

حينما وضعتُ المسدس فوق رأسه

الصوت الذي أطلقته

كان كافياً لتركِ الرأس يتناثر

على أرض الغرفة

بعد ذلك خرجتُ إلى الشارع

أبحث عن كل الذين

يمنعونني من اللعب معهم

لم أترك أياً منهم

قبل أن يمتلئ جسده بصوتي

وبائع الخضار الذي كان يطردُ أمي

أمام نساء الحي

لأنها تدين له بالكثير من النقود

كنت أطلق نحوه الأصوات

أمام أبناءه الثلاثة

المسدس مليءٌ بالظلام مثل روحي

وهذا كان كافياً كي أذهبَ إلى منزل

معلمة الصف وأقتلها

لأنها كانت تسخر مني

حينما تجدني نائماً أثناء حصصها

بعد ذلك بقيت أتساءل

هل ماتوا ؟

هل هذا كافٍ لبداية حياة جديدة ؟

ولم يكن أمامي سوى

أن أضعَ المسدس في رأسي

وأفرغ صوتي فيه

لأقعَ ميتاً من الضحك

وأبقى ممدداً وسط الشارع .

هذه أمي

تهددنا بموتها كل يوم مذ كنا صغاراً لتثبت لنا إنّ فمها يسقط أيضاً

مثل أشياء كثيرة تسقط في هذا العالم

*

بيني وبينها أب عاطل، بيني وبينها فزع، بيني وبينها فشلي الدائم، بيني وبينها شتائم ،بيني وبينها أيام طويلة كنا ننتظر فيها مجيء الطعام من بيت جدتي، بيني وبينها ساقاها المتورّمتان، بيني وبينها الله الذي أقتله كل صباح في المطبخ، بيني وبينها الندم وفكرة أنها سوف تتهشم مثل آنية زجاجية عندما تصطدم بالأرض، بيني وبينها كل شيء ميت، بيني وبينها أنا

*

تفكّر بشراء كرسي متحرك في المستقبل القريب

بينما أرغبُ بإحاطة ساقيها بأسلاك شائكة

تفكر بإيجاد زوجة لي

بينما أتذكر الطريقة التي علمتنا بها

أنْ نعضّ كفوفنا دون أن نأكلها أيامَ الجوع في الحصار

تفكر باستبدال باب المنزل

بينما أرغبُ بتسلقها

والسقوط من على كتفيها

أرغبُ بفعل هذا إلى ما لا نهاية

*

عمرها الآن ٥٤ عاماً

يكبر بداخلها شيءٌ ما

تفشل كثيراً وتموت كثيراً منذ سنوات

عليها الآن قتل هذا الأب

قتل الأختين

قتلي

عليها أن تقتلنا بطريقة ما

وتنتظر موتها وحيدةً .

فكرةٌ عن السيّدِ رماد

لن يكونَ في الطريق أبواب تنثر أفكارها نحو الداخل . ما أريدهُ هو ألّا تحني ظهرها وألّا تتركَ يديها عابرتين فيما يتبقى من أجساد الأصدقاء بعد أن يقعَ الذهن على ركبتيه في لحظة لم أنتبه فيها لحياتي وهي تمضي من خلالها، شيء ما يدفع نهايات الثياب وأعناق الصغار إلى ظلال العائدين في آخر اليوم بجيوبٍ فارغةٍ إلى منازلهم، شيء ما يدفع الأصابع عن الأقدام ويترك شجرة ميتة وسط الشارع ترميك بعينيها وكذلك قطعة قماش تدفن بائع الخضار تحت ظلها وتراكَ امرأة يحضنها الرصيف منذ سنوات كأنك لسانها الذي يموت بين أصابعها . يحدث هذا لأول مرة يحدث لأنكَ الآن من روحِ يدٍ تخنق شفتين كانت تدوران حول اسمك ولأن الضوء لم يسقط على كتفيكَ مذ صار لانتظاركَ عيونٌ، فتحتُ الكثير من الأحلام ودفنت رأسي ورفعتُ الندم عالياً ورميتُ نحوه أصابعي كما تُرمَى الطيور، هي غفلة الذي رأى عنقه مصباحاً ولم يصل إليه اصطكاك ساقيه ولم ينتبه للظلام الذي يمضي عليهما ويختنق بعيداً، لا شارة تقول أنني عثرتُ على الأبواب نائمة على أول الطرقات أو رأيت الطرقات تدخل كما الوحوش من الأبواب حيث أعيش وأهدم وأطير وأصرخُ وأبني من دمي جدراناً كثيرة بين اسمين كانا يصدّان الموت والنساء ، بقيتُ وحيداً حاملاً ذراعِي أسيرُ على ما بقي في الأرض من أثر ومن حجارة كانت تقف عليها الأيام المطرودة من الزمن، كانوا أمامي مكتملين لا يرتفعون ولا يدورون لا شيء فوقهم ولا شيء يقترب منهم كانوا فقط يمضون وقد تركوا هذا الأخير يتلوّى حول أصوات تتقدم من شيء يخافه ويعتقد دائماً أنها الريح .

أيام الكارثة الطويلة

في اليوم الأوّل من الكارثة

خرجتُ إلى الشارع

ووضعتُ حذائي أمام باب المنزل

في اليوم الثاني خرجتْ أمي

ووضعتْ حذاءها أيضاً

في اليوم الثالث خرج أبي

ووضع فَرْدَة واحدة من حذائه أمام الباب

في اليوم الرابع خرجتْ أختي الصغيرة

ووضعتْ حذاءها وفردة واحدة من حذاء آخر أمامه أيضاً

في اليوم الخامس لم تكن أختي الكبيرة في المنزل

لتخرج مثلنا وتضع حذائها

*

في أول يوم من الأسبوع الثاني للكارثة

خرج أبي إلى الشارع

ووضع ساقيه أمام الباب

في اليوم الثاني خرجتُ

وعلّقتُ ساقه اليسرى على الباب

ولم أقتربْ من الساق اليمنى

في اليوم الثالث خرجتْ أمي

لتطردَ الذبابَ عنهما ولتمسحَ الساقين بعباءتها

في اليوم الرابع خرجت أختي الكبيرة

وحملتْ الساقين إلى الداخل

في اليوم الخامس

فقدتْ أختي الصغيرة ذراعَيْهَا

*

في اليوم الرابع من الأسبوع الثالث للكارثة

خرجتْ أختي الصغيرة إلى الشارع

واِلتصقتْ ببابِ المنزل

في اليوم الخامس خرجتْ أمي

لتلصق ذراعيها بجسد أختي الصغيرة

لكنها فشلتْ في ذلك

في اليوم الثالث

كنت قد استبدلتُ ذراعيّ بذراعَي أمي

وخرجتْ لأربطَ راية خضراء بباب المنزل

في اليوم الأول قامتْ أختي الكبيرة

بقصّ شَعْرِها وحلقِ حاجبيها بماكنة الحلاقة

في اليوم الثاني ظَلّ أبي

يخرج من المنزل ويعود إليه

ماشياً على ذراعيه

*

في اليوم الأوّل من الأسبوع الرابع

خرجتْ أختي الصغيرة إلى الشارع

لتلقي نظرة على الأحذية

لكنها لم تعد إلى المنزل

في اليوم الثاني خرجتْ أختي الكبيرة

لتحمل الأحذية إلى الداخل ولم تعد أيضاً

في اليوم الثالث خرجتْ أمي

لتبحث عن أختيّ

وكذلك لتحمل الأحذية إلى الداخل

لكنها أيضاً بقيتْ غائبة

في اليوم الرابع وضع أبي

ساقيه بين ذراعيّ وخرج

ليسألَ عنهنَّ ولم أرهُ بعد ذلك

في اليوم الخامس قرّرتُ الخروج إلى الشارع

لأبحث عن أهلي وكذلك لأحمل الأحذية إلى الداخل

لكنني عندما فتحتُ باب المنزل

كانت هناك الهاوية .

أنا أنبح كثيراً

أنا أنبح كثيراً

أنبح في وجه أبي

أنبح قبل تناول الطعام

أنبح حينما يغادرني أصدقائي

أنبح قبل النوم

أنبح قبل الخروج إلى الشارع

أنبح في الشارع

أنبح عندما أتذكر أنهم أخذوك كاملاً

وأعادوا لنا رأسك فقط

في كيس بلاستيكي

أنبح أمام التلفاز

أنبح وأنا ألاحقُ كل من يدخل إلى منزلنا

أنبح عندما يصادفني طفل

عندما أضحك أنا أنبح

في البكاء أيضاً أنبح

وفي الحب كذلك

أنبح في غرفتي

أنبح وحيداً

أنبح من أجلي

ومن أجل الانسان الذي كنته .

الحقيقة بعد ذهابها خلفَ عينيهِ

الحقيقة هي

إنّ أبي هو أمي

وإنّ أمي هي أبي

إنّ صديقي الوحيد هو حبيبتي

وإنّ حبيبتي هي صديقي الوحيد

إنّ أختي الصغيرة هي أختي الكبيرة

وإنّ أختي الكبيرة هي أختي الصغيرة

إنني ابن خالتي الطبيب

ولم أكن يوماً تابوتاً للرغبات

وأنني سأتزوج قريبا من المرأة التي أحبها

وإنّ ابن خالتي هو الشاعر

ولديه العديد من الخسارات

يخذل الجميع

ولا يفكّر بشيء سوى الهروب

إنّ سيارة صديق أبي الحديثة هي سيارة أبي

وإنّ سيارة أبي القديمة هي سيارة صديقه

إنّ الذي وضعوا صورته في مدخل المدينة

ليس هو وإنما أخوه

ولم يخسر نصف جسده ويموت

وأنه ما زال في نهاية اليوم يعود إلى المنزل

أننا نعيش في منزل الجيران

وهم يعيشون في منزلنا

إنّ الذي كان يطلب من أمه

أن تجلبَ له ثياب ابن أخيها

لكي يذهبَ إلى المدرسة

ليس أنا وإنما هو

من كان يأخذ أخته إلى بيت الجيران

لمشاهدة التلفاز

ليس أنا وإنما ابن الجيران من كان يفعل ذلك

مَن كان يرمي باب المنزل بالحجارة

لأنّ أباه لا يستطيع أن يوفر له النقود

ليس أنا

مَن كانتْ ترسله جدته إلى السوق

ليبيع ما تبقى من كيس الطحين

ويعود بالنقود إلى أمه

ليس أنا

مَن فشل كثيراً

مَن ينتظر

مَن رأى رأس صديقه مقطوعاً

مَن عاد ولم يجد شيئاً

مَن رحل ولم يصل

مَن يعيش اليوم

ليس أنا .

لكمةٌ أخيرة في أطراف رَجُل

ساقاكَ الاصطناعيتان

لا تستطيعان أخذكَ إلى الأصدقاء

ولا الذهاب بك مع أطفالك

إلى حديقة عامة

ساقاك الاصطناعيتان

لا يؤلمانك الآن

لا يؤلمانك أبداً

حتى وإن كنتَ في كل يوم

تخلعهما وتضعهما بجوارك

قبل النوم

ثم تعيدهما في الصباح إلى جسدك

ساقاك الاصطناعيتان

لا تُشعران زوجتك بشيء

عندما تقوم بغسلهما

بالماء والصابون

ساقاك الاصطناعيتان

مثل عصفورين يموتان ببطء داخل بركة .

رسالةٌ إلى ابن خالتي

كان واسعاً، الأطفالُ ينسكبون فوقه، كان واسعاً تدخل فيه الأمهات لإسقاط الجثث الصغيرة من بطونها ومن أجل ابادة النُعاس كان ينفخ في يدي وكي لا أجد فمي فوق فمه ليس أمامي سوى أنْ أحاربَ مع الخوف ، أن أراه طفلا لا يهشمه طائر برأسه كان مروره خلف عينيَّ مصادفة، عرفته بين الحياة ونهاياتها العديدة التي يسقطها فوقي فم الجدة لم يكن شبيه الضحك الذي أشتيه ولم يكن غياب الأب الذي لا يمكن ملئهِ سوى بالأب ذاته لكنني كنت أقف حوله وعليه مراراً وأنتظره يفتح لي يده

كان يرمي الشمس بالحجارة

وكنت أرمي ظلي بركبتيّ

ولم يتكسر سوى من كنّا بانتظاره

المنازل في عينيهِ لحظات الضحية الأولى في الموت، هي ليست من وضعوها قرب ساقيك وساقيّ منذ البداية لكنها نمتْ فوق يومك ويوميّ الأخيرين في الطفولة فاطرقْ جسد أخي لأخرج إليك حاملاً عينيك لتمحوني بهما كما كان يريد لكنه لا يريد الآن أن أسحبَ منه الأذرع أن أسحب منه الجسد الذي ينبت في جوفه كي يراه كيف يركض في عريه ؟ ثم أمضي حاملاً رأسي ورأسه، بين رأسينا يوجد ظلام صغير أراه حيواناً ويراه ساقينِ يحملان شيئاً ما ويعدوان إلى جهة بعيدة، هل كان هناك حين ماتت يدي ؟ حين أخذوا كل الأشياء إليها وماتوا لأكون وحيدا أنظر إلى نفسي وأنا أظلل رغبتي كأنها كلبٌ ينظر إلى بقايا العائلة ينظر لي ولم أكن في عينيه هائلا تظهر صورتي وأسقط ثم يطبقهما على الظلام، بقيتُ أغرق فيه كلما دخلتُ إليه بوجهي الصغير وبينما الآن لم يتبق غير ذراعيه تحملهما الأم لتمسح بهما زجاج المنزل بعد أن قمنا بتقطيعه إلى خرق صغيرة نجفف بها الجروح التي تنفجر في الأصابع ونسد بها ثقوب الجدران التي تخرج منها الحشرات،

شيء متأخر الآن أن أتحدث عن هذا

لكن من قام بسرقة قميصك هو أنا

قميصك الذي أشتراه لك أبوك

عندما تفوقتَ بدراستك

بينما أختبئ في منزلكم خوفاً من أبي

لأنني فشلتُ مرة أخرى بعبور تلك المرحلة

كنتَ تتحدث عنه وتلمع عيناك

بينما أحاول طوي قدمي

كي لا تظهر أصابعي من حذائي المفتوح

سرقته لأنني كنت لا أريد أن أسمع سخرية الأقارب

عندما يروني أرتدي قميصي الوحيد

الذي خاطته لي عمتي من بطانية قديمة

سرقته لأنني كنتُ أرغب بالذهاب إلى المدرسة

ولو ليوم واحد بملابس جديدة

أن أصدم عيون الأصدقاء لمرة واحدة

أن تراني المعلمة التي كانت تكره غبائي

بشكلٍ جديدٍ

وألّا تضعني خلف الباب

لتهشم عصاها فوق ساقيّ

أن أسحب منه جسدي في الليل

كأنني أسحبه من حلم

وأنام بين أختيّ

وعلى وجهي ترقد ابتسامة .

الانفجارات جعلتنا أكثر حميمية

_ نهلعُ من الصوت، نتمددُ كثيرا لنتأكد أننا ما زلنا مرفوعين على السيقان ذاتها ثم نركض إلى داخل الشكل المريع الذي يحدثه الانفجار، نلملم ما بقي من الأجسام والمواعيد، نطفئ النيران التي ترفرف على السيارات والتي غالبا ما يكون بداخلها أطفالاً يحترقون، وآخرون يسحبون مزيج اللحم من واجهات المحال ومن أسفل الرصيف ، تحاصرنا بقع الدم الكبيرة فنقف على رؤوسنا بينما أم مفجوعة تنظرُ من صدرها ولا تدرك أن العالم مقلوبٌ .

_ تصالحتُ مع أبي بعد خصامٍ دام لسنتين حينما اتصل بي ليتأكد من وجودي داخل الحياة بسبب انفجار كان قريبا جدا من مكان عملي .

_ لأول مرة يكون لي صديق في هذه المدينة تعرفتُ عليه خلال سيري مضطراً مع الحشد السائر خلف جنازة جارنا الذي التهم ساقيه لغمٌ وهو يقاتلُ في صفوف إحدى الميليشيات .

_ بسبب خبرٍ كاذبٍ عن إصابة عمي بجروحٍ بليغة في انفجار عبوة ناسفة في السوق قمتُ بزيارتهم لأول مرة واكتشفت أن لديه بنتين كبيرتين، في ذلك اليوم وضعتُ يدي على خيارٍ آخر سأستخدمه حينما أفكر بالزواج .

_ للمرة الأولى يقوم بزيارتنا عدد كبيرٌ من الأقارب والأصدقاء والجيران الذين كانت أمي المهووسة بالنظافة تستقبلهم بوجهها الثقيل لأنهم يتجولون بأحذيتهم داخل المنزل حينما فقدت أختي عينها بعدما فجّرتْ إحداهن نفسها في مجلس عزاء .

حياة مُتخيّلة لبطل واقعي

لم يكن لعباً

عندما كنت أعيش حياة

الأبطال في الأفلام السينمائية

لم اختر غير من عانوا

غير من خسروا كل شيء

ومن كان الموت قريباً منهم

على سبيل المثال

كنت أصنع طائرة ورقية

وأذهب بها إلى سطح المنزل

لأطلقها منه نحو السماء متخيلاً أنها تقصف كل شيء من حولي

بينما أزحف على السطح نحو المجهول غارقاً بالدماء والغبار

فقط لأنّ البطل كان يزحف تحت القصف حاملا بيده علم بلاده

ويريد غرزه في جانب العدو

وكذلك كنت أذهب إلى ابنة الجيران لأقنعها أن تلعب معي دور الحبيبة وبعد وقت قليل من الحب أطلب منها أن تختبئ في مكان ما لا أعلمه داخل منزلنا فقط لأنّ البطل الذي كان يؤدي الدور فقد حبيبته في منتصف الفلم

تبدأ معاناتي من مكان التلفون عندما أرفع سماعته وأتخيل إنّ أحدهم يتصل بي ليخبرني أنهم قاموا بخطفها فأرتبك وأصرخ وأشعر أنني لا أحمل على كتفيّ رأساً بل حجر كبير ، كيف لي أن أنقذ حبيبتي ؟ هذه الصورة التي كنت أظهر فيها هادئاً ومبتسماً فأتنقّل بين الغرف التي كانت تبدو مدنا عملاقة

أصعد الدَرَجَ وأهبط مرات عديدة كان يلهث بدلاً منّي، أقلبُ الأثاث وأركل الأبواب بقدمي، يمضي الوقت وأنهار إلى أن يعود أبي على غفلة من عمله فيقوم بضربي وطرد ابنة الجيران، دائما ما يقوم بطرد هذه الحياة القصيرة من المنزل

فيذهب كل شيء هباءً وربّما كان هذا يترك العصابة التي كنت أتخيلها

تسخر مني

كما أنني كنت أقف على السرير وأتخيل أن الأرض بعيدة جداً

ومن ثم أسقط نفسي منه

كنت أقوم بإعادة ذلك كثيرا

فقط لأنّ البطل حينها كان وحيدا ويقف على سطح بناية هائلة

وفي لحظة قرر أن ينهي حياته بطريقة مختلفة .

نداءٌ إلى إلهٍ مُسِنٍ

تعال يا الله نخرج من الظلام

إلى ذلك النور القليل

الذي يتراكم فوقه أصدقاؤك وأصدقائي

تعال نخرج ونسقط أمام الجميع

مثل حيوانات قتلتها الخيانة

يقولون أنك قريب

تسكن في الأشياء

تدخل إلى المنازل

وترافق الصغار إلى المدارس

أنا أعيش في هذه المدينة الصغيرة

في هذا المنزل

أنا في غرفتي الآن

اهبطْ من السقف، اخرجْ من المرآة

أو من خزانة الثياب، اخرجْ من تحت السرير

ولكن لا تأتي من الباب

لأنّ أبي دائماً ما يأتي منها

لطلب النقود مني

تعال نخرج مثل جريحين

نقف في الفراغ الذي يخلّفه الآخرون

ونترك الأطفال يمتزجون

بأفكارنا عن هذا العالم

لم أرافق ميتاً من قبل

ولا أعرف كيف تفكر

وما الأشياء التي تحبها

والأشياء التي تكرهها

أرغب بمعرفة الكثير عنكَ

تعال أهددك بالموت على سبيل المزاح

مثلما كنت أفعل مع أطفال الجيران

أهددك فقط ولن أركض خلفك

مثلما كنت أفعل معهم

تعال يا الله

أنا في غرفتي الآن

تعال من أي مكان

ولكن لا تأتي من الباب .

أنا قاتل

كان قراري ألاّ أبدأ

بقص الذراعين

لكن حجمه الكبير جعلني

أدرك أنه من الممكن في لحظة ما

سينقضُّ عليّ ومن ثم يعلّقني في سقف الغرفة

ويتركني إلى الأبد متدلياً في بطنها

فقمتُ بقصهما

لم يخرج ولو قليلاً من الدماء

وعلى وجهه كانت تدور ابتسامة

امتلأت الأرض بحشوة الذراعين

بينما أقوم بسحبها من الداخل بواسطة السكين

لم أتركهما حتى أصبحا مجرد غلافين

يتدليان من بين يديّ

إنه يرى العالم بعينين كبيرتين ويبتسم

يراني أغرز السكين في جسده

مرات عديدة ويبتسم

أقطع ساقيه ويبتسم

أقلع عينيه ومازال مبتسماً

ما دفعني إلى قطع رأسه

إلى افراغ جسده على الارض

وقص هيكله إلى قطع صغيرة

كان هذا آخر دب من الدببة الدمى

التي قمت بقتلها

ومنذ ذلك اليوم

لم تشترِ أختي الصغيرة واحداً آخر

أنا قاتل فظيع يا أختي

أقتل ما تحبين

أقطّع أحد هذه الأحلام

التي كنت غارقاً فيها أيام الحصار

الآن أقوم برمي السكاكين بداخلكِ

السكاكين التي فشلتُ كثيراً

بقتل نفسي بها .

حيواناتي المنوية

حيواناتي المنوية فظيعة

حيواناتي المنوية بحجم الحصى أو أصغر

لكنها واثقة أنني من الداخل مليء بالزجاج

حيواناتي المنوية ليس لها رؤوس وليس لها أرجل ولا توجد لها ذيول تتدلى

من مؤخراتها

لكن لها أصوات رهيبة

تصرخ عند النوم، تصرخ عندما أسير وتصرخ عندما أتذكر الدماء

حيواناتي المنوية تقتل بعضها، ترعب بعضها

هي من الدم، تدخل وتخرج من الدم

تطفو في الدم، تسحبه، تغرق فيه، وترفعه عندما يتمدد الظلام في جسدي

حيواناتي المنوية تنتظر فريستها

حيواناتي المنوية لم تبتدئ من العظام ولن تنتهي اليها، لن تموت

ستبقى موجعة

سترحل باردةً، وتعود كريات صغيرة من النار

هي الدمى التي كنت أرغب بالحصول عليها

هي المسدسات التي كان يطاردني بها الصغار لأموت في النهاية موتاً كاذباً

هي عائلتي، هي الصوت الوحيد الذي أسمعه، هي أنا عندما يذرّيني انتظار أحدهم

حيواناتي المنوية اسئلتي حول العالم

هي الفراغ عندما لم أجد لك ذراعين فمسكت به كي أسحبك من النهاية للمرة الاخيرة

حيواناتي المنوية لم تجد في رأسي فكرة واضحة عن الألم فسحقته ولم تلتفت إلى الطفل الذي كانت احدى ذراعيه تملئ أحد جيوب بنطاله والجيب الاخر كانت تملأهُ ذراع القميص

حيواناتي المنوية تخرج أمام بيوت العزاء، تخرج عندما تفتح احدى الممثلات شعرها في مشهد ما، تخرج في الباص، تخرج كلما ذكر أحدهم اسم زوجته

تخرج عندما أكون خائفاً لكنها لا تفعل شيئاً

وضعتها ذات مرة بين يدي ابن خالتي

ولم تقم بافتراسهما

وضعتُها على قميص أحد الأصدقاء

ولم تنفذ إلى قلبه

وضعتها على صور النساء العاريات

ولم تتباطأ في ارتطامها بفخذيّ

وضعتها في الطريق

لكنها كانت بلا عيون وليس لها أرجل تسير بها .

الذهاب إلى المقبرة من أجل ذراع

عادت زوجتك بذراعك إلى المنزل

قبل ذلك كنت أراقب طفلك

وهو يضرب الجدران والأثاث بكرته الصغيرة

حينها لم تكن تعرف

ما الذي تفعله بها ؟

غير أنها أخرجتها من تحت عباءتها

ووضعتها على حافة النافذة

مثلما تضع مضربَ الذباب

لكنها سقطت على الأرض

وضعَتها مرة أخرى وسقطت

في المرة الأخيرة وضعَتها

وأسندتُها بأصابعي

ثم ذهبتْ لتجلب شيئا نضعها فيه

كانت تردد وهي تمدد أحد ثيابها فوق الأرض

كي تلف به الذراع

لم أجد غير ذراعه

بعد ذلك خرجنا من المنزل

بين يديّ الطفل

وبين يديها ذراعك

ذاهبين إلى المقبرة لدفنها

جلسنا في مؤخرة الحافلة

كان خوفي أن نبدو مرعبين

أن تملئ الحافلة رائحة هذا الطفل

الملفوف بالثوب

الذي كان رأسه عبارة عن أصابع

في الطريق كنت أفكر

ربما هذه الذراع ليست لكَ

وأنك كنت في مكان بعيد عن الانفجار

وأن زوجتك مجرد امرأة مجنونة

وربما أنت ممددٌ الآن على أحد الأسرة

في احدى المستشفيات

لا يخرج منك ولا يدخل اليك غير الصراخ

وربما لحمك الآن عالقاً على واجهات المحال

ودمك تحت أحذية من هرعوا لإنقاذ الجرحى

أو هو عالق بعجلة سيارة

تتصاعد منها النار

كنا في مؤخرة الحافلة

أنا أفكر وزوجتك تبكي

والطفل يثلم كرته بأسنانه

ذاهبين بذراعك إلى المقبرة

بينما كنت أرغب برميها من النافذة

وأن نعودَ إلى المنزل

لنبقى بانتظار عودتك اليه

في آخر اليوم كاملا .

أبي بانتظار راتبه التقاعدي

أبي بانتظار راتبه التقاعدي ليشتري طقم أسنان ، فمه منذ فترة فارغ وقبيح، مجرد لحم متقيح يخرج منه دم فاسد ، بعضها سقط بسبب السكري وبعضها اقتلعته قبضات المسلحين والبقية سقطت بسبب شرب العرق والتدخين وها هو الآن يبتلع الطعام بلا طعنات يلفظ أسماءنا بلا طعنات، صراخه يخرج بلا طعنات، شتائمه للإله وأنبياءه بلا طعنات والتحايا تخرج من فمه أيضا بلا طعنات حتى حينما أقول له على سبيل المزاح (أين أسنانك التي كنت تعضُّ بها أفخاذ النساء يا أخ القحبة ؟) تخرج منه ابتسامة سليمة، أتذكره جيداً أيام الحصار كان ينظفها بفصوص الفحم والماء كنت أعلم أن البياض مدفون في فمه

أبي الآن يتعرض للسخرية من أمي

في كل مرة

تطلب منه ألا يبتلع وجهه

أبي الآن يعد الأيام ليعيد البياض إلى فمه الفارغ

هو الآن هادئ وجميل مثل طفل .

تشييع

كثيراً ما شيّع العراقيون

توابيت فارغة إلى المقابر

بينما يجلس الغائب داخل اطار

يحمله طفل أمام المشيّعين

وفي الحقيقة نحن لا نهتم

إن كانت جثته في التابوت أم لا

إن كانت الجثة كاملة

أم بلا رأس

إن كان في التابوت

ثيابه وشيء من عظامه

إن كان هناك فقط مشيعون

ولم يكن هناك تابوت

إن كان هناك تابوت فقط

يحلّق في الهواء

إن لم يكن هناك شيء

وأنك فقط تتخيل كل ذلك

وتمشي خلف أوهامك .

أشياء لم تداهم رأسك

لا أظن أن أمك تمزق ثوبها

وترفع يديها نحو السماء

لتطلبَ من ربها

أن يُنزل عليك جميع الأمراض

لأنك لم تجد عملاً

أو لأنك تعترض على شيء ما

لا أظن أن أختك تتمنى

لو كان لديها قضيب

لأنها محرومة من الخروج إلى الشارع

لا أظن أن أباك كان يسحبك

عندما كنت صغيراً من ساقيك فوق الأرض

من الغرفة إلى باب المنزل

ومن باب المنزل إلى الغرفة

لأنك كنت تضحك

والآن يترك عزلته تكبر من حولك

كي تشعرَ بالذنب

لا أظن أن جارتكم تخرج إلى الشارع

تصرخ وتلعن زوجة ابنها

بينما هو في الداخل

يترك على جسد الزوجة آثاراً عميقة بخرطوم الماء

لا أظن أن أمام منزلكم حقل طويل من المياه الآسنة

لا أظن أنك عثرت على صديقك

بعد أكثر من عام على فقدانه

في مقبرة جماعية

وكان اللقاء حينها مع عظامه

لا أظن أن سائق التاكسي

الذي أوصلك إلى وسط المدينة

كان يظن أنك مخنث

وأن اقرباءك يعتقدون ذلك أيضاً

لأنك تقترب من سن ٢٩ ولم تتزوج

لا أظن أنك تعتقد أيضاً أن السعادة

هي أن تعودَ في نهاية اليوم إلى المنزل

دون أن يذهبَ من جسدك شيء

هذا القليل هو عيناي

اللتان أنظر بهما إلى هذه الجثة

التي تسميها الحياة .

ثلاث محاولات للعبث بجثة تجدها أمام المنزل

١

تغرز اصبعك بجانبها

ثم ترسم حولها دائرة

بعد ذلك تحاول اخراجها من تلك الدائرة

بطرق عديدة

لكنك تفشل

ثم تعيد الكرة بطريقة مختلفة

تحفر حفرة بجانبها

وتصنع في الجهة المقابلة اليها من الدائرة

ثقباً صغيراً

ثم تتخيل أن الجثة بركة ماء

وتنتظر حتى تتسرب من الثقب إلى الحفرة .

٢

تُفرغ فوقها دلو ماء

لكنها لن تتحرك

ترميها والصغار الذين يلعبون في الشارع

بالحجارة

ولن تتحرك

تنبح عليها كثيرا

ولن تتحرك ايضاً

تُضرم فيها النار

ستحترق وتتحول إلى رماد

دون أن تتحرك ولو لمرة واحدة .

٣

تضع فوقها رأسك

لتتمكن من سماع الأشياء

التي تتكسر بداخلها

لكنك حينها سترى بوضوح

أنك تقف على كتفيّ صديقك

وتنظر عبر سياج

إلى ظلمة منزل مهجور .

نداء إلى رَجُل مقلوب

اصرخْ من قدميك

حتى تسقطَ أذنيّ من رأسي

لوقت طويل

ستبقى ركبتايّ تحت أسنانك

بينما يداك هما فم وتفاحة

عندما ركبتايّ كانتا عينين

نائمتين بعمق في الساقين

قدماك

هما اسمك المليء بالأصابع

ودمي

هو أرض تحمل شجرة وحيدة

شجرة محنية

أرض وشجرة سوف ترتطمان

ادخلْ في دمي

ادخلْ في هذه الأرض

ادخلْ في الشجرة

وارفعْ ذراعيك

امشِ قليلا ثم توقف في دمي في الأرض في الشجرة وانتظر الآخرين

الدم يلتفُّ حولك والأرض فوق حياتك وها هي الشجرة في فمك

الشجرة هي أطفالك

أطفالك في فمك الآن

يسيلون منه بأوراقهم

وكأنما لثيابك رأس كي يتخضب بهم

لينم دمك في دمي

مثل امرأة يربطون بساقها كلباً

لتدخل في الأرض حاملا بقدميك عظام ضحاياك

أعني لتدخل في عظام ضحاياك

حاملا الأرض بقدميك

إذا كنت تمتلك سيارة

قم بقيادتها في الشجرة

أعني في أطفالك

ستجد أن فمك مضاء

ستصل من خلاله الأرض

التي هي دمي

والشجرة الوحيدة التي تنحني فوقه

كانت زوجتك

ستراها منزلكَ الذي تحول إلى ركام

ومن حوله ثلاثة قبور

الشجرة في القبر الأول

الأرض في القبر الثاني

وقبر ثالث لدمي

سيكون الفراغ على عينيك

أعني سيكونان حصاتين

تنظر بهما نحو من سبقوك إليه

يتقدمون وفي أكتافهم خيوط

تتحرك بعنف في الهواء .

حديث الظل عن جسده

لم يحدث ولو لمرة واحدة

أن يلتفّ ظلي حول جسدي

أو يدخل بين ساقيّ

أو يباغتني من الخلف

ويسحب بنطالي نحو الأسفل

لتخرج مؤخرتي أمام العالم

طوال هذه السنوات وأنا أسير

يكون مطروحاً على الأرض

مرة طويل ومرة قصير

يكون طويلاً إذا كانت الشمس على أحد جانبيّ

ويكون هو في الجانب الآخر

ويكون قصيراً إذا كانت قُبالتي

فيكون حينها خلفي

لم يسقط ولو لمرة في بالوعة

ولم يتباطأ مرة

عندما أكون مصراً على السير بثبات

ليصطدم بعامود الكهرباء

اليوم قررت السير بشكل سريع

لأراه يتعذب من التعب

قررت المرور في الأزقة الضيقة

كي أراه منكسراً إلى نصفين

نصف على الأرض ونصف على الجدران

المرور في الشوارع التي تتكاثر فيها برك المياه الآسنة

كي أراه غارقاً فيها

والمرور في الشوارع التي تتكاثر فيها الأوساخ

لأراه محدودبا على تلال النفايات الصغيرة

وبينما أقف بانتظار أحدهم

كان ممتدا أمامي لعدة أمتار

سحقتْه سيارات عديدة

سحقتْه امرأة بدينة وهي تمر جواري

سحقتْه دراجة هوائية يقودها رجل مسن

لكننا عدنا في ذات الطريق

مثل كل يوم

يخرج مني دخان السجائر

ويخرج منه غبار قليل

لا أنتظر منه أن يقطعَ جارنا العجوز

الذي دائما ما أجده جالسا امام منزله

إلى نصفين

عندما يمرُّ على جسده

ولا ينتظر مني أن أرفعه عن الأرض

وكما يحدث دائما

اختفى

حالما اقتربتُ من منزلنا .

احبكَ يا حذائي الأبيض

الوحيد من بين ١٣ حذاءً

أضعه في علبة

بعيداً عما يحدث في العالم الخارجي

لحظة عثوري عليه في سوق البالة

لحظة غامرة، تمنيت لو كانت أبدية

مددت اصابعي حينها في بطانته بحثاً عن المنشأ

كنت أتفحصه مثل أم تتفحص فم طفلها

إنه قادم من أمريكا

قادم من هناك ليعيش معي

لم أفكر عندما ارتديته أول مرة

إنه كان في يوم ما

في أقدام رجل أبيض أو أسود

أو ربما كان في أقدام شاب

أبوه واحد من جنود المارينز

الذين قاموا بإسقاط مدينتي في عام ٢٠٠٣

لم أفكر بشيء

سوى بشد عيون الآخرين اليه

لكنني كنت أرتديه

حينما فشلتُ باللحاق بجنازتكَ

كنت أرتديه حينما انتظرتكِ

كي أراكِ لآخر مرة

كنت أرتديه حينما حملتُ أمي إلى المشفى

ليخبرني الطبيب باتساع فتحة القلب

وها أنا أرتديه كل يوم في الصباح

ثم أعيده إلى قبره

حالما أصل إلى باب المنزل .

سُلّم

في غيابنا عن البيت

تهبط من صورتك المعلقة في غرفة الاستقبال

وتذهب باتجاه المطبخ

هناك تعانق أمنا من الخلف

تقبّلها ، تبكيان معا

وتجلسان على الأرض

ثم تمارس شيئاً من عاداتك القديمة

تلمس أشياءنا

تسألها عنّا واحداً واحداً

وتطلب منها أن تتحمل ابنها الكبير أكثر

وأن تقتنع بغيابك

في النهاية تسحبها إلى الغرفة ذاتها

ومثل كل مرة

تحني لك ظهرها

لتصعد عليه عائداً للجلوس داخل الاطار .

الجريمة دائماً ما تكون اختا صغيرة

كانوا يتركونها تذهب معي إلى المدرسة

نقطع السوق ببطء

وعيناي عادة ما تكونان منفصلتان عن رأسي تتنقلان للتلصص بين الدكاكين الصغيرة

كانت تشاهدني وأنا أسرق من احداهن شيئاً عندما أجد صاحبها غارقاً في غفلته

فقط لأتباهى به في المدرسة أمام الجميع

كانت معي وأنا أجلس في آخر الصف

تاركاً الكلمات تولد وتموت على اللوح الأخضر

تاركاً الطموح والصوت المرتفع من الكفوف الذي يملأ الكثيرين فرحاً

تاركاً العالم

ما أريده هو أن تبقى مخيلتي محصنة

لا يدخل إليها شيء ولا يخرج منها أي شكل من أشكال مؤخرات المعلمات

اللواتي أشاهدهن أثناء الحصص

كانت تنام معي على الأرض وتدخل معي إلى الحمام

وترافقني أيضاً إلى بيت الجدة حينما أذهب إليه

ليس حباً به

وإنما من أجل طعام سآكله كنا قد نسيناه في منزلنا

كانت معي وأنا ألعب في الشارع بإطارات السيارات

وأنظر بحقد إلى لعب الآخرين متمنيا أن تتحطم

كانت معي وأنا أعبر إلى سطوح الجيران كي أسرق من حبال الغسيل

ثياب نسائهم الداخلية

الجريمة معي حينما أحببت

الجريمة معي عندما وقفت فوق جثة صديقي ولم أبكِ

الجريمة معي الآن عندما أخرج من المنزل وعندما أعود اليه

معي وأنا أنتظر

معي عندما أضحك

معي وأنا أقتل الآخرين دون قصد .

ينوي اذابة اسمه

تخط اسمك على أحد جدران المدينة

وتقف إلى جواره

ها هو يبدو أكثر طولاً من ذراعك

ممدداً أمام عيون الآخرين

كأنه من دمائهم

لا أحد يعرف كم مرة

كانوا سيقطعون فيها رأسك ؟

مثل الكثيرين لأنك تحمله

كم مرة ذهب فيها أبوك إلى المستشفيات ؟

ليبحث عنه بين أسماء القتلى والمصابين

ولا أحد يعرف

كيف كنت تهرب

عندما تراه على أحد أعمدة الكهرباء

ترقد عليه صورة قاتل ؟

لكنكما الآن تحت الشمس

أمام الجميع

ولأول مرة تستطيع الامساك بهذا القبر

الذي تحمله في جهة ما من حياتك

كل ما تريد فعله الآن

هو أن تبقى تبصق عليه

حتى يسيل نحو الأرض

ويرقد تحت حذائك .

في مقبرة الأطفال

كتلة من السواد تضربها أكياس بلاستيكية بغزارة وأوراق تتساقط من أشجار
ميتة يقودها الهواء نحوها ، كانت تقف أمام تلة صغيرة من التراب كأنها حُدبة
أسفل التلة طفل مدفون منذ أيام وكتلة السواد تلك أمٌّ تركض داخل جسمها
كانت هذه المرة الوحيدة التي ذهبت فيها إلى مقبرة أطفال مع أحد الأصدقاء
لندفنَ طفلته التي ماتت في آخر الليل بين ساقي زوجته
قام بإخراجها من صندوق السيارة
كانت كتلة بيضاء على ذراعين هذه المرة
وحدي من يراهما تذوبان مثل شمعتين
بينما الأم تكبر، تملئ المقبرة وترتفع فوقنا
فندخل في السواد ونضيع
كانت هذه المرة الأولى
التي أتكوّم فيها على أطفال كثيرين أحملهم بداخلي .

عام ٢٠٠٣ عندما كانت المدينة تسقط

خرجنا نحن

بسبب قذيفة سقطتْ بجوار المنزل

الطرق كانت مغلقة

بأجساد جنود المارينز

سيقتلونك إذا كنت تسير نحوهم

دون أن ترفع راية بيضاء

أغلب الهاربين

تكوّموا فوق الأشياء

التي استطاعوا الفرار بها

يبحثون عن أي شيء أبيض كي يرفعونه

أما أبي بعد أن تعب من البحث

في أكوام النفايات

المرمية على طول الطريق

عن أي خرقة فيها ولو شيء قليل من البياض

أخذ قميصي الذي أرتديه

كان أبيضاً

ثم ربط ذراعيه بعصا

وبعد أن وصلنا إلى نقطة التفتيش

كنت أقف خلفه

القميص يحرّكه الهواء

فيضرب رأسه بعنف

وإلى جواره تقف أمي

بينما أحد الجنود كان يغرز كفيه بحذر

في جسدها

معتقدا أنها ستنفجر في وجهه .

يرى أخته بقدميه

في كل مرة أقف فيها على رأسي

تكون أختي الصغيرة

قد وضعتْ دميتها

بين ساقيها

تحاول تسريح شعرها بيدها الوحيدة

تدفن فمها في أذن الدمية

تغير ثيابها

تحاول تنويمها

أختي الصغيرة كل يوم

تتمرن على تربية الأطفال بيد واحدة .

حديث عابر عن رأسي

قبل سنوات

كانت تحدث انسدادات كثيرة في بالوعة المطبخ

ولأن ذلك يترك الأرض غارقةً ببقايا الطعام

والمياه الآسنة

وكذلك لأن الرائحة الكريهة تكبر بسرعة داخل المنزل

قررتُ المحاولة لمعرفة سبب ذلك

وبينما أنحني فوق تلك البالوعة

سقط رأسي فيها

كانت أمي تصرخ وربما تعوي

بعض الدموع تدخل في فمها

وبعضها تسقط على ثوبها الأسود

وأنا أغرقُ ذراعي مراراً في البالوعة

لأجدَ رأسي

الأب كانت ذراعاه ستموتان لأكثر من مرة داخلها

وهو يحاول استعادته

الأختان لم تستطيعا فعل ذلك

الأم تقول لي في كل مرة

تتدلى ذراعها في ظلامها

ذراعي قصير لن يصل إلى مكان رأسك

وبعدما فشلنا جميعنا

استعان أهلي بأبناء الجيران والمارين في الشارع

جميعهم حاولوا ذلك

أحدهم بيديه وآخر بخرطوم الماء

والكثير دخلوا الى المنزل لكي يتفرجوا

ولكن أحدهم وهو يحاول استخراجه

كان يقول لنا

الرأس محشور في الماسورة

كان رأسي يتعرضُ للضرب بقضيب الحديد الذي بيده

وفي النهاية لم ينجح أحدٌ باستعادتهِ

ومنذ ذلك اليوم

وأنا أكمل حياتي بكتفينِ فارغين ..!

وقفة أخرى في المغتسل

حملته

مما تبقى في جسده من الساقين

وآخر حمله من ذراعيه

ثم وضعناه فوق الدكة

كانت الدكة كبيرة

على صديقي

الذي كنا نراه جميعنا كاملا

نقترب منه ونحيطه

كي ننظر كيف يتلقى الماء

من الرجل العجوز

وهو ميت ؟

ونتذكر كيف كان يتلقاه منا

وهو داخل الحياة

أقف بينه وبين أمه التي تتلاشى في عباءتها

كان يطفو بينما نغرق نحن

لماذا لم نترك ذراعيه مفتوحتين ؟

لماذا لم نضعه قريباً من النافذة الصغيرة

التي يدخل منها ضوء قليل ؟

كنا نتحرك حوله

بينما الأم تبكي وتتساءل

أين نصفك ؟

لماذا تركته هناك ؟

وما الذي يرتفع منه الآن ؟

كل هذا وأنا أتحرك

بين السواد الذي يصرخ ويبكي من داخل العباءة

وبين النصف الذي يتلقى الماء من الرجل العجوز .

انسان فضفاض

إلى وقت قريب

يرتدي ثياباً بمقاسٍ مُضاعَف

عادة استمرتْ منذ أيام الجوع

عندما كانت أمه

تأخذه إلى سوق الملابس المستعملة

ويدها تعضُّ النقود

لتشتري له قميصاً وبنطالاً

وأمل كبير يملأها

بأنها سوف تعثر على حذاء

ليس فيه الكثير من الثقوب

كان محظوظا لأنه وحيد

وليس هناك من يشاركه بها

كانت الثياب والأحذية تعيش معه لسنوات

اليوم خرجت أمه إلى الشارع

وبيدها ما تبقى من هذه الثياب

كان قد خبأها في السطح داخل كيس بلاستيكي

كومتْها أمام المنزل

وأوقدتْ النار فيها

لأول مرة رأى

كيف يموتُ الاخوة ؟

لوحة

على غطاء سريره الأسود

يرسمُ امرأة بالطباشير

تبدو هادئة

كأنه ثمة حلم جميل يتدحرج داخلها

يمرر فوقها كفّيهِ برفقٍ

لكنها مثل كل مرة

لا يوجد فيها نبضٌ يعرّشُ على أصابعه

فيسحبها من ذراعيها

لإعادتها نحو الحياة

من ساقيها

من شَعرها

من كل مكان يحاول

حتى تتفسخ إلى عناكب صغيرة من الغبار

ميتةً فوق ذراعيه .

بقعةُ دمٍ كانت رجلاً

كان على عينيّ أن تنهضا من مكانيهما مثل حشرتين

ويقطعا مسافة جسدي سيراً نحو الأرض

بينما أنت تتحول إلى بقعة من الدم طافية فوق السرير

كانت تكبر لتصل إليّ

لتنغرز في الجدران وفي الأشياء

كانت تزحف لتكون في الطعام وفي الثياب

لتنغرزَ في جسد أحدنا لينجبَ طفلا دموياً

نطعمه أيامنا ونبعده عن الخوف والألم

طفلاً من الدم نفعل كل شيء من أجله

ليكبرَ بهدوء

وفي النهاية نبقى تحت عينيه

وهي تراقب موتنا واحداً تلو الآخر

في البداية كان الجميع يدور حولك

يتساءلون عن أصدقائك الذين قمتَ بابتلاعهم

عن الصغار الذين تساقطتْ كفوفهم سهواً حينما شاهدوك

عن عدد الطيور التي ندمتْ بعدما وضعتْ بيوضها فيك

كانوا يدورون حولك وينعكسون على جسدي مثل أشياء مخيفة

أما الآن لا شيء يحدث

أنا وحيد أنظر إليك بعينين

لم تنهضا من مكانيهما مثل حشرتين

بينما أنت شيء قاتم يطفو فوق السرير

تبدو مثل حفرة عميقة

لا نفعل شيئا

أنا أفكر بإنهاء حياتي

وأنت تنتظرني أسير نحوك

لأسقطَ فيكَ .

خوف

كلّ شيء خارج غرفته يُخيفه

أبوه ، إخوته

الغرفُ الثلاث والأشياء الميتة في بطونها

صورة زعيم إحدى الميليشيات أمام المنزل

جارتهم القبيحة التي ترمي أسئلتها كأفاعٍ بين ساقيه

الأشخاص الذين يصادفهم في طريقه

وكذلك الذين يتم ذكرهم في حديثٍ عابر

الأطفال هنا أيضاً

البيوت المجاورة والبعيدة

السيارات

الشوارع ذاتها

المدينة بأكملها تُخيفه

ويخاف أيضاً من أمه

أمه التي ترسم حوله دوائر بدمها

وتكسر على ركبتيها

يده التي يسعى بها كل صباح

إلى مصافحة الجميع .

عُدنا وعلى ثيابِنا بقعاً منهُ

لم نستطع وضعَ ما تبقى

من جثته المتفحمة

داخل كيس بلاستيكي

كلما أمسكناه كان يتهشم

بقيتُ ادور حوله

وبقي اخوته يحاولون

دفعه داخل الكيس

لكنه ظل يتطاير في الهواء

في النهاية لم يكن امامنا سوى

أن ندفن كفوفنا مرات عديدة في رماده

ونضعها على ثيابنا .

العالم مِن على سطح بناية عالية

قريب من السماء

كأنه ركام من التراب

ولا شيء يحدث من ارتطام الهواء بيديه

حفرتان في وجهه

يسحب بهما نَظَارته

كلما سقطت على ثيابه

كلما سقطت نحو الأرض

العالم ذاته في الأسفل

ولا يصله من صراخه سوى القليل

باعة يغرقون بأصواتهم

منازل تغرق بساكنيها

قتلى يغرقون بصورهم

سيارات تتهشم الظلال على أبدانها

قتلة ونساء

وأطفال يركضون نحو قمم وهمية

يقف بعيداً عن الأرض

وينظر نحو العالم

ولا شيء يحدث عندما يرتطم الهواء بيديه

لا شيء يفصله عن دمه

كان قريباً من السماء

لكنه لم يستطع الطيران .

غارقاً في الموت إلى أُذنيه

ما زال يصحو ليصطدمَ بعائلة ميتة

للنظر في مرآة لا تعكس شيئاً

لانتظار سقوط الماء من الحنفية

على كفين صغيرتين

لدفن جسد هزيل في ثياب

ربما استعملها في السابق قاتلٌ ما

للسير على شوارع ميتة

لركوب سيارة ميتة

يقودها رجل ميت

مع أناس أموات ذاهبين أيضاً إلى أماكن ميتة

للنظر من إحدى نوافذها المظلمة

إلى كلاب نافقة على حواف الطريق

إلى منازل تموت بعيداً وأشجار ميتة

إلى نساء ميتات يحرثنَ أرضاً ميتة

كل يوم يعبر هذا الألم

لممارسة عمل ميت

للقاء أصدقاء يموتون كثيراً

للحديث بسخرية عن يوم آخر سيموت

وكذلك لينام

ويصحو مرة أخرى

من أجل عالم ميت .

الفهرس

الشاعر

علي ذرب

من مواليد ١٩٨٨ \ العراق . بابل

الكتاب الأول بعنوان (فراغ ناص البياض) عن دار أكد في لندن ٢٠١٥

الكتاب الثاني بعنوان (سأتذكر أنني كلب وأعضك أيها العالم) عن دار مخطوطات في هولندا ٢٠١٦

لديه كتاب تحت الطبع بعنوان (رجل في فمه ذبابة) عن دار Éditions des Lisière الفرنسية .



منشورات ميليشيا الثقافة